من تحرر القصيدة المعاصرة من الآثار الرومانسية ، سوف يمتد خط شعري من المحاولات والاخفاقات · وما الظاهرة التي يتوقف عباس عندها ، من اجل ان يبرر استمرار الرومانسية (ظاهرة الشعر في الارض المحتلة) الا دليلا جديدا على عدم قدرة الرومانسية على تبرير وجودها · فالشعر الفلسطيني الذي يتمثل بأصوات درويش والقاسم وزياد ، كان في رومانسيته ، يحمل تاريخا خاصا · لم تلبث التجارب والنضج الفني والتقني ان قادته الى كتابات مختلفة ·

قبل ان ينتقل الناقد الى القسم الثاني من كتابه ، يقوم باستعراض سريع وغير منهجي للعوامل التي تحدد الاتجاهات الشعرية · فيشير الى فلسطين ، غابة الحقوق ، موقف الشاعر من فكر عصره ، دور المجلة والصحيفة ووسائل الاعلام ، نمو المدن ، شخصية الشاعر ، ثم يستدرك : « وعلينا ان نتذكر ان ما عددناه من عوامل لم يوضع بحسب قسمة منطقية دقيقة ، وانما هو وليد خواطر مرسلة ، وان بعضه قد يصلح ان يكون سببا ، وبعضه يصلح ان يكون نتيجة » · لكن هذا الاستدراك الاستباقي لن ينقذ القسم الثاني من الكتاب من الخلل المنهجي · فالانطباعية التي تحدد عرض العوامل سوف تعكس نفسها على « المواقف » · فنقف امام لوحة متكسرة ، لسياق لا نستطيع اكتشاف لحمته ، ولتركيب لا نستطيع فهم علاقات عناصره ، وكيف جرى الانتقال من موقف الى موقف ، ومن شاعر الى شاعر ، ومن مقطع في قصيدة الى مقطع في قصيدة اخرى ·

القسم الثاني من الكتاب ، هو دراسة تفصيلية لمواقف الشعر المعاصر من القضايا الكبرى · هنا ، سوف تفتت التجربة الشعرية ، وتحشر في انساق جاهزة ·

١ ـ الموقف من الزمن

في دراسته للموقف من الزمن ، يتوقف عباس عند مواقف حاوي ، السياب ، نازك ، أدونيس ودرويش من الزمن · ويحاول عبر هذا التوقف ان يلتقط مفاصل الزمن في مضامين بعض القصائد من اجل ان يخرج الى استنتاجات عامة ، والى نمذجة سريعة تقسم الزمن الى ثلاثة ازمنة · الزمن المتجمد (حاوي والسياب بشكل جزئي ، رغم ان السياب ينفرد بمحاولة احياء الطفولة ومواجهته لموته الخاص) · الزمن الرومانسي (نازك ودرويش ، رغم ان درويش يحاول الاقتراب في قصائده الاخيرة من الزمن القائم على الصيرورة) · وزمن الصيرورة (ادونيس ، الذي لا يبحث عن زمن ضائع كما فعل بروست ، وانما يلاحق زمنا لم يولد بعد) · ويصل في نهاية هذا الفصل الى استنتاج وصفي ، يقسم فيه الزمن الى زمن رومانسي وزمن قائم على الصيرورة ، دون ان يشرح العلاقة بين هذين الزمنين ، أو يربط مسألة الموقف من الزمن بالمواقف الاخرى التي يعالجها في كتابه ·

هنا ، وامام مسألة الزمن ، نتوقف عند ظاهرة خاصة بالكتاب ، وهي بروز الطابع الانتقائي والعام في التصنيف · اي ان الناقد ، وامام انسداد منهجه بالتصنيفات المسبقة وبالتوقف عند الموضوعات فقط ، يجد نفسه مضطرا الى القيام بعملية كسر وبتر للقصيدة · يتوقف عند المقاطع الشعرية ولا يكشف علاقاتها بالقصيدة او بالقصائد التي تجتزأ هذه المقاطع منها · ثم لا تربط القصيدة الواحدة بمجمل التجربة الشعرية للشاعر الا بشكل خارجي · فيتقولب الشعر بشكل جاهز داخل منطق انطباعي يستدعي الذاكرة ، ولا يكتشف او يكشف · وقبل أن نناقش مسألة النقد الموضوعاتي وامكانياتها ، نتساءل